



ضمن فعاليات مشروع “حول المرأة والثورة” هو مشروع بحثي تنظمه مؤسسة عبد المحسن القطان، بالشراكة مع معهد دراسات المرأة في جامعة بيرزيت، وجاليري 1، ونادي رام الله للسينما، تم إقامة معرض “مسرد آخر”، قيم المعرض يزيد عناني، ومساعد قيم معرض عبد الرحمن شبانة، تم افتتاح المعرض في مركز خليل السكاكيني، بمشاركة: رائد حلو، شروق أسعد، سامي شناعة، تالا عبد الهادي، فرح برهم، راية زيادة، لينا حجازي وبارا دواني. ويتضمن المعرض أربعة محاور، ينظر المحور الأول في المنطق الذي يحكم الأرشفة الخوارزمية التي يعتمدها محرك البحث Google وكيف يفرز تأثيره على نتائج البحث عن الصور، ويضم المحور الثاني فيلمي فيديو يصوران التأطير الأبوي للدور الذي أدته النساء في الثورة الفلسطينية، حيث يجري تمثيل دورهن من خلال أعمال تصويرية إطنارية تقدمهن وهن يتلن خطابات إعلامية تملى عليهن. ويتألف المحور الثالث من سلسلة من الصور القديمة الخاصة بالثورة والتي يعاد تقديمها وتصويرها ضمن سياق معاصر. أما المحور الرابع، فيستكشف الهرميات التراتبية المؤسسية، والدور الذي اضطلعت به المرأة في جهاز الشرطة المدنية الفلسطينية، من خلال عرض أفلام لمقابلات أجريت مؤخراً مع نساء من خلفيات متنوعة، ويعملن ضمن جهاز الشرطة. يبحث المعرض عن تمثيلات مختلفة لثورة المرأة، بفضاءات وزمنيات مختلفة أيضاً، في الإنترنت والفضاء الافتراضي، بالفضاء العام والمعاصر، وبالجانب التاريخي أيضاً.

ماذا تعني ثورة المرأة، Siri؟ مفاهيم متشابكة في عصر السايبر

المحور الأول يبحث في تمثيلات المرأة / التحرير في الفضاء السايبري اليوم، وما تبدو عليه النتائج في محرك البحث غوغل، عند البحث عن كلمات مثل “المرأة” و “الثورة” وغيرها، حيث أن خوارزميات عملية البحث تظهر نتائج مختلفة وغير متسقة بصورة تاريخية معينة عن ذات الموضوع، فتارة تظهر المرأة كأيقونة تاريخية للثورة، وتارة تُظهر النتائج صورة عن صفات المرأة من برج الثور، نظراً لاختلاط الأمر على الخوارزميات من حيث تهجئة حروف ثورة و ثور، وتارة تظهر منتجات للبيع تحوي رموز ثورية، وتارة فيلماً أو أغنية كليشيهية حول الثورة والمرأة. هذا التجاور، بين صور من هذا التنوع، وإن كان غير مقصود، ومن إنتاج “الآلة” أو “الخوارزميات” فإنه يكشف الكثير عن ما تعنيه المرأة وثورتها بالنسبة لغوغل، والمعلومات التي يفصح عنها بالإضافة إلى أساليب تسويق وجمع المعلومات الاستهلاكية. في هذا العمل تم طباعة كل نتيجة بحث من الإنترنت مباشرة كـ screenshot وترتيب هذه النتائج وراء بعضها كطرق



حفظ الملفات الحكومية، مما أعطى العمل بعداً ساخراً آخر. العمل يبدو مقارناً في طريقته إلى الـ internet art لكنه لم يستخدم الانترنت كوسط، بل كمصدر للعمل. بالنظر إلى هذه النتائج التي ظهرت على غوغل كموزايك بجانب بعضها، نرى أن غوغل يهتم بثورة المرأة، لا بالجانب التاريخي وحسب ولكن أيضاً وبشكل أكبر بالجانب التسلعي بل التسويقي لهذا المفهوم، فالأفكار في عصر ما بعد الحداثة ومع ظهور الإنترنت أصبحت مجرد ملكية، أو سلعة، فلم يعد “حلم” مارتن لوثر كينغ سوى جملة مطبوعة على ظهر دفتر يباع بعدة سنتات، أو صورة شخصية على موقع فيسبوك، وكما هي الحال مع التي-شيرت الثوري الشهير لصورة غيفارا، نرى أن الثورة أصبحت تأتي “بمقاس واحد” للجميع. المرعب على الإنترنت ليس فقط عملية تسليع وتنميط وإفراغ كل فكرة من معناها، بل أيضاً سهولة “خطف” الثورات/الاحتجاجات على هذا الفضاء من قبل الظالم والمعتدي، للحيلولة دون التضامن مع الضحية، كما حدث في وسمي (هاشتاغ) Black_lives_matter و Me_too. هذا العمل يوضح معاني مختلفة للثورة في فضاءات مختلفة معيشة اليوم، فكلمة ثورة على الإنترنت تحتمل عدة معاني قد لا تتوافق مع معناها في فضاءات أخرى.

هل تستطيع المرأة أن تتكلم؟

في المحور الثاني من المعرض، نجد مقطعي فيديو من فيلم «هنا وهناك» للمخرج الفرنسي جان-لوك غودارد. الفيلم الوثائقي والذي تم إنتاجه في فترة السبعينات، يحاول توثيق الثورة الفلسطينية عن طريق الفيديو الوثائقي التجريبي، تظهر بالفيلم عائلة فرنسية في غرفة الجلوس تتابع ما يحدث عن كثب على شاشة التلفزيون. على الشاشة، نرى مشاهد من الثورة الفلسطينية، ومقاطع يظهر فيها فدائيون فلسطينيون في تلك الفترة.

في المقطع الأول - المقطعان تم اقتصاصهما من الفيلم الوثائقي- نرى امرأة فلسطينية تقوم بتكرار جمل من وراء شخص ما لا نراه، وتبدو في بداية المقطع متحمسة لما تقوم بتكراره من جمل ثورية خطابية، ومن ثم يبدو عليها التملل لاحقاً وتغير ملامح الوجه المشرقة، هذا التغيير يشار إليه عن طريق تعليقات صوتية من ضمن بنية الفيلم “التوثيقي”. في المقطع الثاني تظهر امرأة تدلي برأيها (رأي مكتوب مسبقاً لتقوله) حول الثورة، ومن ضمن حديثها تقول بأنها حبلى بطفل، وأنها لن تبخل به على الوطن.

يحاول المقطع إظهار فكرة التوظيف الأبوي للمرأة كأداة للضغط وكسب تعاطف “العالم” وتوظيفها في الثورة



إعلاميا (صورة 1)، وبشير المعرض إلى أن هذه الطريقة قد تنبعت لها المنظمة واستخدمتها في مراحل متأخرة من الثورة. فما المخفي في صورة هذه المرأة؟ وما الذي تم إقصاؤه؟ في صورة هذه الإنسانية، صوتها هو المخفي. فغودارد بخطابه يؤكد أن هذه المرأة تحت ضغط أبوي أو مجتمعي لتقول ما تقول، مقصياً إمكانية أن تكون هذه المرأة اختارت أن تعبر عن صوتها بهذه الطريقة، من منطلق كونها إنساناً فلسطينياً، لا امرأة مهمشة تعاني في “الصراع” ربما ليست هذه الطريقة الأفضل، لكن ما زال هناك إمكانية لأن تكوّن طريققتها، كأى إنسان تائر ويسعى لتحرير موطنه، سعرها بسعر وجميع ثوار في أية جبهة تحرير وطني، أما الشخص الذي يملئ عليها ما تقول وراء الكاميرا، هي أو غيرها، ولو كانت رجلاً، فإنه يلغي حرية اختيارها وفكرها، ويملي أفكاره بطريقة أبوية بحتة، مستغلاً كونها امرأة وستدرّ تعاطفاً عالمياً أكبر نحو القضية، مقصياً أيضاً قدرتها على النضال بطريققتها، كإنسان، بدون أن تستغل بأي طريقة، إن كلاهما ألغيا الاحتمالات والخيارات التي كان من الممكن أن تتمتع بها هذه المرأة. تتنازع صورة هذه المرأة في هذه الصورة بالذات هاتان القوتان، المتناقضتان، الصارختان، فيخفت صوتها هي فلا نسمعها، ولا نسمع ما أرادت حقاً أن تقوله.

من يدري ما كنا سنسمع لو أعطيت هذه المرأة الفرصة لتعبر عن مكنوناتها بصدق و تلقائية؟ في هذا الموضوع، يمكننا التطرق لدراسة قامت بها لينا ميعاري، بخصوص الأسيرات الفلسطينيات وأساليب التحقيق معهن، فتارة يأخذ التحقيق أسلوب إقناع الأسيرة أنه تم تضليلها والتغريب بها من قبل آخرين وجعلها تشك بنفسها وقدرتها على التحليل المنطقي أو عن طريق إقناعها أن عدوها الأول هو الأبوية الفلسطينية، هناك في مجتمعها، وهذا ما يجب أن يقف عنده سقف طموحاتها “النسوية الثورية”، نرى هناك خطاباً كولونياً أبيض يدعي أن هدفه الاستعماري هو إنقاذ المرأة من وحشية مجتمعها، وتحريرها منه، وكأن تحرير المرأة سيكون عن طريق من يكبلها هي ومجتمعها، هذا الخطاب يأتي مطابقاً لخطاب فرنسا حول النساء الجزائريات، وأمريكا حول الأفغانيات. إكمالاً لهذه الفكرة، حول تنازع وتوتر المرأة وسط هذه القوى مرة بصفتها الأضعف بجميع هيراركيات علاقات القوى، لا بد لنا أن نخرج على نظريات غياتري سبيفاك، ونظرياتها حول التابع. تحتاج سبيفاك وتناقض النظرية الفرنسية، French theory والتي كان من أشهر روادها ديروز. تقول سبيفاك، أن التابع (subaltern) غير قادر على التكلم. وأن المثقف، حتى وإن كان في بلد تحت الكولونيالية يستطيع “التكلم” كونه أصلاً في موضع سلطة. وأن أي تضامن أو تحليل يلقي فيه المثقفون بأنواعهم -المحليين وغير



المحليين- حول التابع، وهو تضامن فارغ من المضمون، وتحليل منقوص، لأن ما يتنازع هذا التابع من علاقات القوى، هو من التشابك بمكان، أن لا يستطيع المثقف البعيد أن يحلله بدقه ويفهمه بعمق، فما وراء القوى الكولونيالية يتنازع التابع قوى مجتمعية، ودينية ونوعية، وقوى فرعية، ليس فقط قوة وحيدة بين السلطة والهامش، بل تدرجات لا نهائية لعلاقات القوى. ما تحاول سيفاك قوله، وخصوصاً في موضوع المرأة الهندية، وتحليل هذه الذات، هو أن لا نقوم بالحكم عليها، ولا الدفاع عنها، أو الحديث عنها، بل الحديث معها، حرفياً، لنعطيها صوتاً، فأين هذا العمل من ذلك؟

“مسرد آخر”... إعادة قراءة للمرأة والتاريخ الثوري

مسرد آخر





ثورة المرأة، النيوليبرالية، ومشروع الدولة

في المحور الرابع نرى مقاطع فيديو، تظهر لقاءات مع نساء فلسطينيات معاصرات يعملن في الشرطة الفلسطينية. إن هذا المحور بالذات مهم على عدة أصعدة، فهو يوضح الانتقال الذي مرت فيه القضية الفلسطينية والمشروع التحرري، منذ بداية النضال، إلى الآن، مرحلة المأسسة والتقنين والتوجيه. ويبدو الفرق واضحاً جداً، على صعيد اللغة البصرية في المظهر، فبسهولة يمكننا ملاحظة ذاتية واستقلالية وتلقائية مظهر المرأة في فترة الثورة، وتصلبها في عصر اليونيفورم، وأجهزة بصفة الدوام. إكمالاً لفكرة استيعاب المرأة في مشروع الدولة، في المحور الثالث، نرى محاولة معاصرة لإعادة إنتاج صور قام بإنتاجها عدة مصورين أوروبيين اختاروا في أواخر الستينات والسبعينات توثيق الثورة الفلسطينية، وتصوير الفدائيات المحاربات جنباً إلى جنب مع الفدائيين، وألهمت هذه الحركة الثورية الأحرار في كل مكان، من اليابان إلى نيكاراغوا، بنسائها ورجالها، فأنت هذه المحاولة المعاصرة، بعدسة سامي شناعة، كجواب على سؤال ماذا يعني تاريخ الثورة اليوم؟ وأين موقع الثورة اليوم؟ وأين تم استيعاب هذا الزخم من التاريخ الثوري؟ في إحدى الصور الملتقطة، تبدو الإجابة واضحة، في خلفية الصورة. تم استيعاب ثورة المرأة/المرأة والثورة بأجهزة الدولة الشرطة، بالشركات والمشاريع الاستثمارية،/ بالبنوك، بالقروض، وتم إعادة تعريف تحرير المرأة وثورتها بما يخدم الأجندة النيوليبرالية والسياسية بالمنطقة، فمساواة المرأة وثورتها تعني أن تكون ناجحة اقتصادياً، أن تكون امرأة أعمال، أن تدخل البرلمان مثلها مثل الرجل، أن يكون هناك كوتا نسائية ومساواة وحصص للمرأة، أن يكون لها الحق (كما الرجل)، ولكن بماذا؟ بأن تعمل.. أي: أن تخدم وتُستعبد في شركات هذا الوحش وأن تعنصر عصرراً في سبيل إطعام آلة المال الكبرى، إن خداع المرأة بهذه الطريقة ما هو إلا تشويه لمفهوم المساواة والتحرر، فكما أنه ليس هناك استهلاك أخلاقي تحت الرأسمالية، فإنه ليس هناك مساواة تحت نظام ظالم أساساً. كل هذه الأسئلة التي يطرحها هذان المحوران، هي شرعية ومنطقية وربما آن الأوان لنجيب عنها، في ظل ما نعاصره، إلى أين نتجه الآن؟ وهل كان سيتغير مصيرنا الحالي فيما لو سمح للمرأة بالماضي بأن تتكلم؟ هل يمكن إعادة تعريف التاريخ الثوري بشكل معاصر، لا يخسرنا ثورته؟ وكيف؟

أخيراً..



إذا نظرنا بصورة وزاوية أوسع، فيما يخص موضوع ثورة المرأة بالتحديد، فإن ما مرت به من وصفها بالأيقونة هو لعمل ووصف ذكوري أكثر من أي عمل آخر، ما زلنا بوصفها بالأيقونة، ننظر لها كأنها كائن آخر، يحتاج التصفيق على كل عمل طبيعي وبشري يقوم به الرجل/الإنسان، لم يحز كل الرجال على وصف أيقونات بالنضال، لكن المرأة حازت على هذا الشرف التعميمي، حتى لو كنا نجهل اسمها، ما زالت تكنى بالأيقونة!

ما يجب أن يحارب هو تلك الدهشة والتصنيف للعمل النسوي، والأدب النسوي والفن النسوي.. الخ. متى ما اختفت هذه الدهشة برأيي سنحزز تقدماً هائلاً. نعم، إن ثنائية أيقونة المرأة/امتهانها، لا تصيف سوى مزيداً من الصعوبات على مسيرة “المرأة” كإنسان. بالتأكيد عندما نتحدث عن ثورة المرأة، فإنها لم تكن ولو لمرة واحدة نائرة ضد سلطة واحدة، فهي عندما تثور على سلطة ما، تثور على باقي السلطات بالنتيجة، لأن كل ما يقيدنا من سلطات هي مترابطة وشائكة، وبالتأكيد إن هناك من يستحق لقب أيقونة بجدارة، لكن لما قدمه وليس لكونهن إناث فقط. لذلك الحديث عن “ثورة المرأة” والمرأة هو عمل شائك دوماً عندما يكون في دائرة البحث، كهذا البحث ككل، وهذا ما يعطي الشرعية لاقتراح سيفاك بالحديث معها عن ثورتها لا عنها، المرأة لا تحتاج تأليهاً ولا تحقيراً، بل أنسنة، دون إضفاء أي هالة أو تمييز.

ما يجب هدمه أساساً، هو هذا التصنيف، وهذه التحديقة، تحديقة الرجل والمرأة أيضاً على المرأة (gaze)، بحيث نحدث تغييراً من أعلى، متزامناً مع ملاحقة الظلم الذي يحيق بالمرأة وغيرها من شتى قوى الظلم، إن كانت استعمارية، أو مجتمعية، أو اقتصادية، وفي شتى المجالات، في النضال، في الأدب، في الفن كتغيير من القاعدة، بالإضافة لذلك، علينا محاربة عملية فصل الهويات الناتجة في عصر ما بعد الحداثة، فالإنسان هو تقاطع هويات مختلفة جندرية وطبقية ومجتمعية وعرقية، والتركيز على هوية واحدة فقط كأساس للانتماء، يجعلها عرضة للاستغلال والخطف من جهات متعددة.

أما فيما يخص الثورة الفلسطينية، وما آلت إليه من مشروع لدولة، فإن المعرض يطرح الكثير من الأسئلة، تستوجب منا إعادة التفكير بالنيوليبرالية كنظام اقتصادي متبع في مشروع الدولة المنتظر، بل إعادة التفكير بمشروع الدولة أيضاً في ظل التغيرات الحاصلة. إن كانت الكولونيالية، والتي تعمل الآن كمشروع اقتصادي نيوليبرالي هي من دعمت

“مسرد آخر”... إعادة قراءة للمرأة والتاريخ الثوري



القوى الاجتماعية الهادفة لوضع المرأة والرجل أيضاً في قلب معين يخدم سياساتها، فأن بيدنا تحطيم أربعتهم.

الكاتب: [إدیل جرار](#)